(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١١) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥) وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ} [الحجر:١٠-١٨]

الشيخ: إلى هنا، إلى هنا

تواصل الآيات، سبحان الله العظيم، يخبر سبحانه وتعالى عن أنه سبحانه أرسل في الأمم الماضية رسلًا، وهذا الله يذكره في آيات {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦]، {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر:٢٤]، وهنا يقول: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ} يعني أرسلنا من قبلك رسلًا في الأمم الخالية، وطريقهم واحد كأنهم متواصون، كأنهم متواصون به {أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} [الذاريات:٥٣]، {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} كلهم، سبحان الله العظيم! {كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ} وهذا التكذيب وهذا الاستهزاء هو بقدر الله سبحانه وتعالى، {كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ} سنَّة الأوَّلين، سنَّته في إهلاك المكذِّبين ونصر النبيِّين والمؤمنين {كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ}.

يقول تعالى: {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ} هؤلاء الكفار المكذِّبون لو فتحنا عليهم بابًا من السماء يصعدون منه يعني فلم يعتبروا ولم ينتفعوا بهذه الآيات العظيمة، لو فتح لهم بابًا إلى السماء فصاروا يعرجون منه ويصعدون قالوا هذه أيش؟ هذا سحر {لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ} وهذا ينبئ بإصرارهم وعنادهم.

ثم قال تعالى: {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ} جعل الله السماء الدنيا بروجًا وهي الكواكب العظيمة النيِّرة وزيَّناها للناظرين، والله جعل النجوم في السماء زينة، زينة للسماء ورجومًا للشياطين {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ} فلا يصل إليها الشياطين إلا بقدر استراق السمع فإن الشياطين يركب بعضهم بعضًا حتى يقاربوا السماء فيحصل لهم أن يسمعوا بعض كلام الملائكة {إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ} وهذا المعنى يذكره الله في آيات

أخرى كما في سورة الصافات {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧) لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} [الصافات:٦-١٠] نظير قوله: {إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ} وذكر الله في سورة الجن كذلك، قول الجن {وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا} [الجن:٨-٩]، {إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ} فهذه العوالم الأرض والسموات هي آيات دالة على، على قدرة مبدعها وحكمته وعلمه سبحانه وتعالى، فهذا العالم العلوي والسفلي الأرض والسموات {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ}، {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} [الأنبياء:٣٢]، لكن أولو الألباب يتفكَّرون وينتفعون، وأهل الغفلة يمرُّون عليها وهم عنها معرضون.

نعم يا مُحَمَّد

القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ: الله المستعان

القارئ: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي –رحمه الله تعالى–

الشيخ: رحمنا الله وإياه، الله المستعان، {وَلَقَدْ}

القارئ: في تفسير قول الله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ} الآيات، يقول تعالى لنبيه إذ كذَّبه المشركون: لم يزل هذا دأب الأمم الخالية

الشيخ: يقول تعالى لنبيه

القارئ: يقول تعالى لنبيه إذ كذَّبه المشركون

الشيخ: يعني يخبره بذلك تسلية، يسليه لَمَّا كذَّبه المشركون وعاندوه وآذوه أخبر أن هذا سبيل الأمم الماضية، نعم، يسليه، {وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ} [هود:١٢٠]

القارئ: يقول تعالى لنبيه إذ كذَّبه المشركون: لم يزل هذا دأب الأمم الخالية والقرون الماضية: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ} أي: فرقهم وجماعتهم رسلًا.

{وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ} يدعوهم إلى الحق والهدى {إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}

{كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ} أي

الشيخ: {نَسْلُكُهُ}

القارئ: {كَذَلِكَ نَسْلُكْهُ} أي

الشيخ: {نَسْلُكُهُ} بالرفع {نَسْلُكُهُ}

القارئ: {فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ} أي: الذين وصفهم الظلم والبهت، عاقبناهم لما اشتبهت قلوبهم بالكفر والتكذيب، تشابهت معاملتهم لأنبيائهم ورسلهم بالاستهزاء والسخرية وعدم الإيمان ولهذا قال: {لا يُؤْمِنُونَ بِهِ}

الشيخ: ما أدري {كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ} تعبير الشيخ {نَسْلُكُهُ}

القارئ: أي: ندخل التكذيب

الشيخ: إي تدخل التكذيب، إي

القارئ: فقط، {فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ}

الشيخ: نعم

القارئ: {لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ} أي: عادة الله فيهم بإهلاك من لم يؤمن بآيات الله.

{وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ} .

أي: ولو جاءتهم كل آية عظيمة لم يؤمنوا وكابروا {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ} فصاروا يعرجون فيه، ويشاهدونه عيانًا بأنفسهم لقالوا من ظلمهم وعنادهم منكرين لهذه الآية: {إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا}

أي: أصابها سكر وغشاوة

الشيخ: أيش يقول؟ أصابنا سكر؟

القارئ: أي: أصابها سكر وغشاوة حتى رأينا

الشيخ: نعم، نعم، أصابها سكر وغشاوة أيش بعدها؟

القارئ: حتى رأينا ما لم نرَ، {بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ} أي: ليس هذا بحقيقة، بل هذا سحر، وقوم وصلت بهم الحال إلى هذا الإنكار، فإنهم لا مطمع فيهم ولا رجاء

الشيخ: يا سلام سلِّم، يا سلام، يا حي يا قيُّوم، نسأل الله العافية، لا إله إلا الله، نعم، لا مطمع فيهم ولا رجاء، أيش بعده؟

القارئ: ثم ذكر الآيات الدالات على ما جاءت به الرسل من الحق فقال:

{وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ} الآيات، يقول تعالى –مبيّنًا كمال اقتداره ورحمته بخلقه–: {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا} أي: نجومًا كالأبراج والأعلام العظام يُهتدى بها

الشيخ: نجومًا نعم كالأبراج

القارئ: كالأبراج والأعلام العظام يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، {وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ} فإنه لولا النجوم لما كان للسماء هذا المنظر البهي والهيئة العجيبة، وهذا مما يدعو الناظرين

الشيخ: سبحان الله، بالليل إذا نظر الإنسان إلى السماء وهذه النجوم المتلألئة يراها في غاية من الحسن والجمال، هذه مصابيح، الله سمَّاها مصابيح، لا إله إلا الله، انظر كيف تكون السماء إذا حجب الغيم، حجب النجوم تصبح ظلمة مظلمة ولكن وجود –في هذا العصر– وجود الكهرباء والتوسع فيها ووسائل الإضاءة أضعفت اعتبار الناس، ما يدركون هذا إلا إذا طلعوا للبرّية ونظروا إلى السماء رأوا هذه الآيات أما في الديار وفي المدن أصبحوا لا يرونها ولا تلفت انتباههم لوجود هذه المصابيح الهائلة الشديدة الإضاءة فلا يرون السماء على ما هي عليه، نعم، سبحان الله العظيم، سبحان الله، سبحان الله، والله تعالى هو الذي خلق هذا وهذا لكن منه ما لبني آدم فيه تسبُّب كالسرج والمصابيح التي كانت تُوقد بأنواع من الوقود، والآن أصبح وقودها الكهرباء، لا إله إلا الله

القارئ: وهذا مما يدعو الناظرين إلى التأمُّل فيها والنظر في معانيها والاستدلال بها على باريها

الشيخ: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر

القارئ: {وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ} إذا استرق السمع أتبعته الشهب الثواقب فبقيت السماء ظاهرها مجملًا بالنجوم النيّرات وباطنها محروسًا ممنوعًا من الآفات.

{إِلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ} أي: في بعض الأوقات قد يسترق بعض الشياطين السمع بخفية واختلاس، {فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ} أي: بين منير يقتله أو يخبله. فربما أدركه الشهاب قبل أن يوصلها الشيطان إلى وليِّه فينقطع خبر السماء عن الأرض، وربما ألقاها إلى وليه قبل أن يدركه الشهاب فيضمُّها ويكذب معها مائة كذبة، ويستدلُّ بتلك الكلمة التي سُمِعت من السماء.

{وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا} أي: وسَّعناها سعة يتمكَّن الآدميون والحيوانات كلها

الشيخ: {وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا} كذا؟

القارئ: {وَالأَرْضَ}

الشيخ: لا، قف على هذا بس [يكفي]، متواصلة الآيات في هذا المعنى في شأن الأرض يعني بعدما ذكر في شأن السماء {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ} يعني انتقل السياق إلى الأرض {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ} [الحجر:١٩]